المحاضرة السابعة: المرابطون والموحدون

1- الحالة السياسية و الإجتماعية:

نعني بالمغرب الإســـلامي البلاد الممتدة في شـــمال إفريقيا من غرب مصـــر إلى المحيط الأطلسي ، أطلق عليها اليونان قديما إسم" ليـبـيا "ثم أطلق عليها الرمان فيما بعد بإسم (البربر)، وأحفظ العرب من بعدهم بهذه التسمية وكان المغرب عندهم يشمل إفريقيا و الأندلس غير أننا في هذه الدراســة نعني بالمغرب الدول المغاربية اليوم وهي: ليبـــــيا وتونس الجزائر و المغرب ، الصـــحراء الغربية وموريتانيا إذ كانت بلادا واحدة و إذ حكمتها إيمارات عدة في وقت واحد أو توارت في حكمها عبر حقبات زمنية متعاقبة .

وسكان المغرب ينحدرون من أصـلين : عربي و بربري، أما العرب فقد وفدوا إلى البلاد منذ الفتح العربي ، وأما البربر فهم سكان الشمال الإفريقي منذ القدم .

وقد قام المغرب الإســـلامي بدور هام في الحفاظ على هاذين الإرثين ، فكان أهله أشـد الناس إخلاصـا للعروبة و الإسـلام ، فقد هبوا لنصـرة إخوانهم بالأندس حينما أحدق بهم خطر النصارى ، وكانوا يتقدون حمية إذا تعرضا بنو ملتهم ما يزعجهم .

ففي القرنين السـادس و السـابع الهجريين شـهد المغرب الإسـلامي عددا من الدول الإمارات ممن رفع راية الجهاد و الإصلاح على كل مستويات الحياة الاجتماعية و السياسة و الدينية وكذا الأدبية ، ومن الدول التي حكمت المغرب إبان تلك الفترة :

1-1-دولة المرابطين : حيث قامت هذه الدولة على أســاس ديني، ولا أدل على ذلك من إسمها (المرابطون)، فـ "المرابطة ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفرقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا "[1]، كما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم لقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا أصـبوا وصـابرو ورابطو وأتقو الله لعلكم تفلحون) "آل عمران :200 .

ثم أستعيره الرباط إلى مسكن العباد وأهل الطرق الصـوفية ، فقيل لمن يقيم في هذا الربط المعدة للعبادة و الطاعات (مرابط) لملازمة الرباط و انقطاعه فيه للعبادة

---

[1]–تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمان بن محمد الجيلاني ، ديوان المطبوعات لجامعية ، بن عكنون، ج :1:ص :308

وكان شـعار المرابطين توحيد المسـلمين و إقامة شـعائر الإسـلام و توطيدها ، فقاموا بترسيخ هذه المبادئ من إلقاء المغارم و المكوس الجائرة التي فرضـها الحكام على عامة الناس، ودعوا إلى التمسـك بالقرآن والسـنة فاسـتقر أمرهم في قلوب الناس لما في ظاهر دعوتهم من الحق و العدل .

إضـافة إلى أن قواد ه\ه الحركة زيادة على ما يتسمون به من صـلاح فإنهم أهل علم و معرفة ، فوجد فيهم 3جيل من الفقهاء اشـتهروا بالورع و التقوى و إنكار الذات خلصت نباتهم و زكت نفوسهم" [1] فعملوا بمبادئ الدين و كسروا شوكة العدو.

وبلغت هذه الدولة عز أيامها في عهد الأمير يوسـف بن تاشـفين عاهل لمتوتة ورافع عماد الدولة المرابطية ، و امتد ملكهم من تخوم المغرب الأقصـى إلى أسوار مدينة الجزائر.

وقـد أجمع المؤرخون على عدالة هذه الدولة وقيامها بشؤون الراعي و الرعية كما يوجبه الإسـلام و يقتضـيه فقه الإمام مالك [2] ،وبلغ عدد جيش المرابطين في اول أمره إلى مـائـة ألف جنـدي ، ولم يحفظ لجنـدي من جنودهم فرار من زحف ، كمـا دام أهل المغرب بتفكير كل من ظهر عليـه الخوض في شـيء من علم الكلام ، وقرر الفقهـاء بمحضـر علي بن يوسـف بن تاشـفين تقبيح الفلسـفة وعلم الكلام و النظر فيهما وكراهية السـلف لهما ، وهجروا كل من ظهر عليه شـيء من ذلك قائلين ببدعيتها ، وحملوا الأمير عليا على نشر أوامره في البلاد بالتشديد و التوعيد بكل من يشتغل بهذا العلم ، و أحرقت كتب الغزالي وهدد كل من يوجد عنده كتاب منها.

كما نبغ بالمغرب في أيام المرابطين كثير من ذوي القرائح و أرباب الحرف و الصـناعات و المهندسين ، فأنشـأ علي بن يوسف بن تاشفين في جمادي الثانية سنة 530 هجرية المسجد الجامع بتلمسان ، ومحلة تلمسان ، واستمر هذا المعهد يقوم بعمله الثقافي كمركز من مراكز الثقافة الغربية الإسـلامية طيلة القرون التالية ، وأضـحى عاصـمة من عواصم الفقه المالكي ، والأمر نفسه للجامع الأعظم بالجزائر .

---

[1]– قيام دولة المرابطين : محمد حسن أحمد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957 ، ص: 364 .

[2]– تاريخ الجزائر العام : ج 1 ، ص : 310 .

وإذا كانت بداية دعوة المرابطين ثابتة موطدة لدعائم الدين و العدل قد أخذ فيها الفقهاء و رجال الدين الصـــدارة في الدولة الناشـــئة حينذاك، إذ كان الأمير يوســـف " يدني الفقهاء من مجلسه

ويقربهم إليه و يستمع إلى نصائحهم و يعمل بموجب ما يأمرون به" [1] حتى شاع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، غير أن تكالب بعض هؤلاء الفقهاء على نفوذ وجمع المال و التضـييق على الناس جعل منهم حمل نقمة الشـعب المغربي ، فهجاهم بعض الشـعراء منهم الشاعر أبو بكر محمد الإشبيلي بقوله [2] :

أهل الرياء لبسـتم ناموسـكم كالذئب يدلج في الظلام العـاتم

فملكتم الدنـــيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاســـم

وركبتم شهب البغال ب"أشهب" وب"أصبغ"صبغت لكم في العالـم

وبدأت تنحرف هذه الدولة عن المبادئ التي رسمتها لنفسها في بادئ أمرها وخاصة في عهد تاشـفين بن علي ، فقد ركن بعض الأمراء إلى الدعة و الراحة و أهملوا شـؤون الرعية فانعدم الأمن و كثرت الفتن و القلاقل .

و"استولى النساء على الأحوال و أسندت إليهن الأمور ، فصارت كل امرأة من أكابر لمتوتة مشـتملة على كل مفسـد و شـرير وقاطع سـبيل و صـاحب خمر و ماخور ..."[3] فكثر الفســـاد وعمت الفوضـــى ، وتردت حالة المجتمع ، ففقد الناس ثقتهم بالحكم المرابطين والتفاف الناس بإبن تومرت بعد أن دام حكمهم ما بين سنة 472 و539 هجرية [4].

<u>1-2-دولة الموحدين:</u> بدأ واضـــحا أن الضـــعف الذي أصـــاب دولة المرابطين في ايام عزها إرهاصـــا لقيام ثورة جديدة تبنى أســـســـها على إنقاذ الدولة المنتثرة ، وكان زعيم هذه الثورة رجل من قبيلة "مصمودة " يسمى (محمد بن تومرت) حيث أشتهر بالزهد و الشجاعة و الجرأة و العلم فادعى المهدوية وذهب ابن تومرت في أول نشأته إلى المشرق لطلب العلم ،

---

[1]– المعجم لتلخيص اخبار المغرب : عبد الواحد المراكشي ، تقديم : ممدوح حقي ، طبعة دار الكتاب (د.ت) المغرب ،ص : 241 .
-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان 1968 ج:3 ، ص 447 [2]

-المعجم في تلخيص أخبار المغرب : ص :26 [3]

-ينظر تاريخ الجزائر العام : ج :01 ص: 316 [4]

وهنالك اطلعي على الخلافة العباسية التي كانت خاضعة لزعماء جيوش تركيا وعاينه معها الاحتضار الخلافة الفاطمية بمصر ، كما أدى فريضة الحج ، ودخل بغداد مقل الفيلسوف أبي حامد الغزالي ، فأفاد من رحلته المشرقية ، وخاصة في علم الكلام و الأصول والسنة [5] ،وألتزم الطريقة الأشعرية في الكلام[6] ثم رجع إلى بلاد المغرب تحدوه رغبة شديدة في التغيير، فأخذ بعد عودته إلى المغرب سنة 512 هجرية في تأسيس حكومته على طريق شيخ القبيلة المتزعم وأفاض عليها صبغة المهدوية ، وهي الطريقة التي نجح بها الفاطميون قبله لتأسيس دولتهم [1] وعندما دخل مراكش عاصمة المرابطين قضى عليه ابن يوسف بنفيه من المدينة خصوصا عندما بالغ في دعوته ، وعندما علم أن السلطة تلاحقه و تذيق عليه الخناق قصد جبانة خارج مدينة مراكش وأقام خيمة بين القبور، فجاءته جماهير الناس من كل حدب وصوب مستمعة إلى مواضعه ومهتدية بهديه ، وهو في ذلك يبصرها بنقائد الأمور ومساوئ الحكم ألمرابطي .

وأصدر بعدها علي بن يوسف أمرا بإلقاء القبض عليه و إعدامه لما علم بوفرة المتحمسين إلى فكرته و السالكين طريقه ، فأنتقل ابن تومرت إلى بلاد السوس صحبة مؤزريه ودعى أصحابه بـ" الموحدين " تعريضا بخصومه المرابطين و طعنا في عقائدهم .

وأجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين بالمغرب الأقصى و أشهر عليهم سيفه وقلبه ولسانه ، وبايعه جمع غفير من الناس بالإمارة المغربية ، إلا انه توفي سنة 524 هجرية [2] وآلت مقاليد الأمور بعده إلى صديقه علي عبد المؤمن ، حيث دخلت الدولة الموحدية في حكمه مرحلة جديدة بقضائه على المرابطين و استلائه على مراكش بعد وفاة السلطان علي بن يوسف .

ولقب أمير الموحدين بأمير المؤمنين ومرتبه لا يتجاوز مبلغ ما يتقاضاه أحد شيوخ الموحدين الذي هو عشرون ومائة دينار سنويا منجمة في أربع دفعات ، وللجند و الموظفين عند الموحدين أعطيات و غلات ، ولم تتخذ هذه الدولة مذهبا من مذاهب تجبره على الناس .

---

[5]–عصر المرابطين و الموحدين بالمغرب و الأندلس : محمد عبد الله عنان ، القاهرة 1964 ،ج :01 ص 163

[6] -تاريخ ابن خلدون : عبد الرحمان ابن خلدون ، نشر مؤسسة الإعلى للمطبوعات ، بيروت لبنان ، 1959 ج: 6 ص:466

[1]ينظر تاريخ الجزائر العام : ج 02 ، ص: 03 .

[2]ينظر تاريخ الجزائر العام : ج 02 ، ص 4 0

وقســـم الناس في عهدهم إلى ثلاث طبقات : الســـابقون الأولون وهم الذين بايعوا المهدي ابن تومرت ، ثم يليهم الأتباع ثم طبقة العامة.

ويطلق على أعضـــاء الأسـرة المالكية من أبناء عبد المؤمن اسـم "السـيد" دون غيرهم فكان نظام دولتهم ارستقراطيا [3] .

وقد امتازت دولة الموحدين إلى جانب سابقتها بالجهاد ضد الأسبان بالأندلس ، ففي سـنة 555 هجرية انتقل عبد المؤمن بنفسـه إلى الأندلس و نزل بجبل طارق وأقام فيه حصـنا عظيم الشـــأن ،ووفدت جموع الناس عليه من كل حدب و صـــوب مباركة له ومهنئة على الانتصـارات التي حققها، و"كان الهدف من هذه السـفرة تحقيق هدفين أسـاسـين هما:الاجتماع بطلبة الموحدين

والنظر في كيفية غزو الروم و نواحيها "[1] ثم عادة إلى مراكش و في نيته إعداد العدة للجهاد في الأندلس .

وقبل موته بقليل عزل ابنه الكبر عن ولاية العهد و أحل محله ابنه السيد أبا يعقوب يوسف الذي كان قائما بشؤون الأندلس، حيث أبدى براعة فائقة في الحرب وشؤون الإدارة [2] ، وقد كانت تنزلق الأمور بسبب تحاسد الإخوة ، غير أن سياسـة يوسـف المحنكة و سماحته التي شملت أخويه كانت حائلا دون ذلك .

وقد اجتمع لهذه الدولة من الجند ما يفوق الأربعمائة و ثمانين ألف جندي ، يتزايد عـددهم أحيـانـا إلى المليون في فترات الحرب، وهو مختلط ممزوج من العرب و البربر و الإفرنج و المماليك [3]، كما شـــاع في وقت الموحدين الزهد و التقشـــف في ملذات الحياة و الرضى بالقليل ، ثم تلاشت هذه النزعة مع بعض الأمراء الأوائل .

---

[3]–ينظر تاريخ الجزائر العام :ج : 02 ، ص:05

[1]–تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين :ابن صاحب الصلاة ،تحقيق :عبد الهادي التازي،دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت الطبعة الأولى 1964، ص : 147 .

[2]–تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين : أشـياخ يوسـف ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، مؤسـسـة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1958 ، ص :314

[3]–تاريخ الجزائر العام : عبد الرحمان الجيلاني ، ج 2 ، ص : 05

و"تغيرت مكانة المرأة في عهد الموحدين فأقصـــيت من شـــؤون الحكم و أمور السـياســة "[4] نظرا للمبادئ التي قامت عليها دولة الموحدين ، وتوجهت إلى ميدان آخر أكثر ملائمة لطبيعتها ألا وهو ميدان التربية و التعليم ، وكانت رائدة هذا المجال الســيدة (زينب) ابنة يوسف بن عبد المؤمن، و " السيدة (خيرونة) التي كان لها يد في نشر عقيدة الأشاعرة بين نســاء أهل فأس "[5]، وامتد ســلطان هذه الدولة من المحيط الأطلســي غربا إلى بونة و طرابلس شـرقا ، ومن جبال الشـارات (البرانس) شـمالا إلى تخوم صـحراء إفريقيا الكبرى جنوبا ، وتعد بذلك أعظم مملكة شهدها الإسلام بالمغرب العربي.

وبعد وفاة الأمير أبي يعقوب سـنة 575 هجرية خلفه ابنه "يعقوب ابن المنصـور الذي بلغت دولة الموحدين في أيامه إلى منتهى العظمة و القوة، وكان عهده العهد الذهبي للمغرب سواء من حيث العمران و ازدهار الحضـارة أو من ناحية اسـتقرار النظام و انتشـار العدالة ..."[1] بعد وفاته سـنة 595 هجرية خلفه ابنه محمد الناصـر الذي خاض موقعة العقاب مع الممالك

النصــرانية و أخفق فيها،"فكانت بداية النهاية في تاريخ المحودين بالأندلس [2]، وينقســم بعد ذلك أفراد البيت الموحدي على أنفســهم ويتنافســوا على الخلافة تنافس محموما ، فدبا الضعف إلى هذه الدولة حتى أضمحل ملكها وسقطت على يد المراميين سنة 668 هجرية [3] .

بعد أن تصــدع شــمل الموحدين وأدنت أيامهم بالذهاب خرج عنها ولاة النواح ، وظهر العصـيان من رؤسـاء العشـائر و اسـتبدوا بالإدارة ، وبرزت إلى الوجود ثلاث إمارات أو دول مغربية هي:

3-1 الدولة الحفصية :تنسب هذه الدولة إلى رجل من خاصة ابن تومرت و أحد مريديه يكنى بأبي حفص ، وانتقلت مدينة تونس إلى بنيه في عهد الخليفة الموحدي محمد الناصر ابن يعقوب ، وأسـمر بنوه في ولايتهم على تونس إلى أن أفضـت إمارتها إلى أبي زكريا يحي ابن

---

[4]–الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي : عبد الله علي علام ، دار المعارف ، مصر ،1971 ، ص :245-246 .
[5]–النبوغ المغربي لعبد الله كنون ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر ، بيروت ،1961 :ج :1 ، ص : 144
[1] - لبنبوغ لبمغريس في الأدب العربي : عبد الله كنون ، ج : 1، ص: 107
[2]- ديوان ابن سهل الإسرائيلي : تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، 1967 ، ص : 09
[3]– ينظر تاريخ الجزائر العام : ج : 02 ، ص :31 .

الشـــيخ أبي محمد بن عبد الواحد ســـنة 627 هجرية ، وكان ملكا عادلا عالما ، أديبا ، فأعلن اســـتقلاله على الموحدين رافضـــا بدعوتهم ، وأتخذ تونس عاصـــمة لهذه الدولة ، و وصـــلت ســـلطة هذه الدولة إلى مدينة الشـــلف وغليزان غرب الجزائر ، كما اتجهت هذه الدولة إلى محاربة القراصنة الأوربيين الذين كانوا يستغلون الحركة التجارية للمسلمين ، وكان من أمبر لذلك هو أهل بجاية .

إضـــافة إلى ذلك فقد اتســـمت فترة حكمهم بالحرية الدينية و المذهبية ، إذا ما برح المســـلمون في المغرب ينضـــرون إلى علماء الإســـلام وأئمة مذاهبه و المجتهدين منهم و إلى اختلاف أقوالهم و أرائهم في أحكامه وشرائعه إلى مذهب واحد و إمام واحد من غير نكير ولا تعصب ولا اعتراض.

ولا تزال معالم الحضـــارة الحفصـــية قائمة إلى اليوم من قلاع ومســـاجد و ديار كتب وحمامات

وهي تمتاز بفن المعمار الصـــنهاجي والشـــكل الأندلســـي ،وأســـتمر حكم هذه الدولة إلى سنة 943 هجرية [1] .

ومن شعرائهم نذكر:

الشاعر عفيف الدين التلمساني:

هو"أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله، بن علي بن يس، العابدي الكومي التلمساني، وهو المعروف عند القدماء بالعفيف التلمساني."

بهذا النسب ينتهي إلى قبيلة بربرية تقيم قرب تلمسان في المنطقة المعروفة بندرومة، وهي منطقة " عبد المؤمن بن علي" مؤسس الدولة الموحدية بالمغرب العربي، اختلف في سنة ميلاده فمنهم من حددها بسنة 610هـ،1213 ميلادية، ومنهم من حددها بسنة 613هـ، 1216ميلادية.[1]

وفي ربوع تلمسان نشأ العفيف وهناك تلقى بذور التصوف وطريقة الصوفية، ثم رحل عن بلاده وطاف في ديار المسلمين باحثا عن شيخه حتى لقيه ببلاد الروم... وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربي الأشهر: صدر الدين القونوى المتوفى سنة672هجرية.

وكان لقاء التلمساني بصدر الدين القونوي تحولا خطيرا في مساره الروحين فقد تعرف من خلال شيخه على عالم فسيح وهو عالم " ابن عربي" الذي تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخترق

---

[1]– ينظر تاريخ الجزائر العام : ج:02 ، ص: 79.

[1] العربي دحو، ديوان أبي الربيع عفيف الدين التلمساني الصوفي (610ه/1213م) (690ه/ 1291م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1994، ص10.

الفقه والفلسفة وعلم الكلام وغيرها من علوم هذه الحقبة، ليقدم في النهاية نمطا مميزا من التصوف الجازف الذي تجلت آفاقه في مؤلفات ابن عربي، وفي اتجاهات مدرسته من بعده.[2]

يذهب مترجموه إلى تقسيم حياته إلى أربعة مراحل:

1-وهي مرحلة الشباب التي أجمعوا على غموضها تقريبا، وهي التي انتقل فيها إلى المشرق العربي حيث نزل أول أمر بمصر.
2-وكان ذلك سنة 1263م، وهو متزوج ومنجب لولده، أقام هناك في خانقاه المعروف " سعيد السعداء" لصاحبه" شمس الدين الإيلي"، وبذلك يكون في العقد الثالث من عمره يوم ذاك – إن صحت هذه الواقعة-
3-وهي التي قيل إنه انتقل فيها إلى بلاد الروم، حيث أقام أربعين خلوة ويخرج من واحدة ويدخل أخرى، وتدوم كل خلوة على عادة المتصوفة أربعين يوما.
4-وهي المرحلة الأخيرة في حياته والتي استقر فيها في دمشق، حيث يبدو أنه هاجر التصوف أو أن شيئا حدث في حياته، وفي هذه الفترة أقام منزله المعروف في ظاهر دمشق إلى اليوم وتمتع بحياته، إذ أنه قبل الوظيفة حسب رأي الشيخ الحافي" كان عفيف الدين مباشرا استيفاء الخزانة بدمشق..."

وظل كذلك حتى وافاه الأجل 5 رجب 690ه، 4 جويلية 1291م ودفن في مقابر الصوفية بدمشق.[3]

في هذه الفترة التي عاشها الشاعر أو في عصره ذلك إن عدنا إلى مغربنا العربي الذي هو مسقط رأسه لنقول شيئا عن وضعه الثقافي، فإننا نجد أن الشاعر قد ظهر في العصر الزياني (633ه/1235م) (962ه/ 1554م) ميلادية، وهي دولة مستقلة عن دولة الموحدين، وهذه الفترة كانت مزدهرة ثقافيا إلى أبعد حدود، فهي التي عرفت الأديب (أبو حمو موسى) الأول، هذا السلطان أو الأمير الذي أنشأ مدرسة بتلمسان ثم تلتها مدرسة التاشفينية فضلا عن الجامع الأعظم بتلمسان، وكذلك تميزت هذه الفترة بالاهتمام بالعلوم الدينية بالخصوص الأصول منها، وهذا الاهتمام الذي لاحظه الشاعر في بيئته المغربية تلكن لاشك أنه كان ذا حضور في توجهه الصوفي الذي اختص به والذي أتعبه عند القدماء حتى رماه البعض بالنصيريه، ونسبوا إليه أقوالا خطيرة على حد تعبير بعضهم من أمثال " الذهبي"و "ابن العماد"، فضلا عن ذلك فإن التيارات الصوفية كانت من جهتها حاضرة في هذه الفترة في المغرب حضورا قويا، وكذلك الأمر بالنسبة للمشرق العربي الذي عرف في هذه الفترة حكم المماليك، حيث كثر الربط والزوايا وكانوا يكرمون كذلك شيوخ التصوف ويقدرونهم.[4]

من الأسماء البارزة التي عرفتها الجزائر التي منها الشاعر في مجال التصوف نذكر "أبو مدين بن شعيب" توفي سنة 954ه، و"ابن سبعين المرسي" سنة 669ه، و"البدوي المعروف "ب الملثم سنة662ه، و"أبو الحسن الشاذلي" توفي سنة613ه، و"أبو إسحاق" الطيار سنة 700ه،

---

[2] يوسف زيدان، ديوان عفيف التلمساني ج1، دار الشروق، دط، دت، ص12.
[3] العربي دحو، ديوان أبي الربيع عفيف الدين التلمساني الصوفي، ص10-11.
[4] نفس المرجع السابق، ص11-12.

وفي المشرق لمعت أسماء " السهروردي"، و" جلال الدين الرومي"، و"صدر الدين محمد القونوي" الذي التقى بالشاعر وأثنى عليه، بل أعجب به وغيرهم كثير.[5]

مؤلفاته:

كان للتصوف الأثر الجليل على الأعمال الأدبية والشعرية للتلمساني عكس فيها نظرته الاجتماعية والدينية، حيث خلق لنا عددا من الكتب المخطوطة وكانت كما يلي:[6]

1-شرح كتاب منازل السائلين إلى الحق المبين للهروب.
2-شرح كتاب المواقف للنفري.
3-شرح تائية ابن الفارض المسماة نظم السلوك.
4-شرح كتاب فصوص الحكم لابن عربي.
5-شرح قصيدة العينية لابن سينا وسماه الكشف والبيان في معرفة الإنسان.
6-شرح الأسماء الحسنى.
7-رسالة في علم العروض.

من استعراض مؤلفات التلمساني يبدو أنه كان شغوفا بهذه النصوص الصوفية ذات الطابع الرمزي، فقد عكف على العديد منها محاولا تحديد المعاني المتوارية خلف الرمز الصوفي ومظهرا تلك الحقائق كما يراها أهل الطريق الصوفي.

فإذا كانت مؤلفات التلمساني الشارحة ذات قيمة تفسيرية كبيرة لآراء السابقين، فإنها أيضا تعبر عن موقفه الخاص باعتباره واحد من مشايخ أهل الطريق.

5- الديوان:

لم يتحدث القدماء بمفهومنا الحديث لذلك يمثل ما تحدث عنه المعاصرين، فمن القدماء من ذكر أن له نظما، تاريخ الأدب العربي، حيث قال عنه أنه مرتب أبجديا وأشار إلى بعض النسخ بأرقامها دون تحليل كالموجودة في المتحف البريطاني وبوليفيا والأوسكوريال وغيرها، كما أشار إلى النسخة المطبوعة في القاهرة في سنتي 1281للهجرة، وكذلك سنة1287للهجرة، والمطبوعة في بيروت سنة1885 ميلادية مشيرا إلى الترجمة التي قدمت عن ديوان إلى الفرنسية.

والذي يلاحظ على ما ذكره عنه"بروكمان" هو أنه لم يعط أي وصف لأية نسخة من الديوان، الأمر الذي جعلنا نسجل بعض التساؤلات عن ذلك منها أن طبعتي القاهرة للديوان سنتي 1281و 1287 المذكورتين سابقا لم يعثر طلبتها على أي نسخة منهما في مكتبة جامعة القاهرة، وأن نسخة بيروت سنة 1885أيضا لم يعثر عليها هناك، ولكن التي عثر عليها هي نسخة ابنه المعروف بالشباب الظريف بالنسبة لطبعة بيروت وهي نسخة متكونة من 76صفحة مذيلة بقصيدة "بانت سعاد"ل "كعب بن زهير"[7] وغير محققة مطبوعة طبعة

---

[5] نفس المرجع السابق، ص12-13.
[6] ينظر يوسف زيدان، ديوان عفيف الدين التلمساني، ص21-33.
[7] العربي دحو، ديوان أبي الربيع عفيف الدين التلمساني الصوفي، ص13- 14.

حجرية وليست كاملة، كما أنه لم يلتفت إلى نسخ المخطوط الموجود في الأقطار العربية، سوريا والمغرب ولا إلى خصوصية أية مخطوطة من تلك المخطوطات.

وأما من المعاصرين العرب الذين اهتموا بالديوان اهتماما مميزا وبنسخه نجد"عمر موسى باشا" الذي تناول ذلك بإسهاب لكنه لم يتجاوز بروكلمان إلا بإضافة نسخ الظاهرية ذات الأرقام 5917 و8097 و4168 و5982 والتي ذكر أنها توجد في المكتبة الأحمدية بتونس دون إعطاء رقمها أو خصائصها، أما ما عدا ذلك فقد اقتفى فيه أثر بروكلمان بخصوص النسخ الموجودة في البلدان الأوروبية وطبعات الديوان، بحيث أن خصوصيات النسخ لم يقدم شيئا يذكر عنها ما عدا تلك التي تخص عدد الأوراق ونوع الخط الذي كتبت به، وأسماء نساخ بعضها وتاريخ ذلك النسخ الموجودة في المكتبة الظاهرية(الأسد حاليا)، الأمر الذي يوحي أن المؤلف لم يشاهد النسخ الأخرى غير الموجودة في الظاهرية، كذلك الشأن بالنسبة للنسخ التي قيل عنها مطبوعة فقد أوردها بترتيب (بروكلمان) مما يؤكد اعتماده على النقل ليس إلا من تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.[8]

يعتبر ديوان التلمساني هو أكثر أعماله تعبيرا عن شخصيته وآفاق تصوفه، فإذا كانت سائر مؤلفات التلمساني- باستثناء رسالته في العروض- هي شروح على ما كتبه السابقون عليه،فإن هذا الديوان هو المؤلف المستقل الذي لم يتقيد فيه العفيف بعبارة غيره، بأن انطلق بحسه الشعري المرهف ليعبر عما يراه هو من حقائق المحبة وغيرها من ملامح الطريق الصوفي.

والديوان هو أشهر مؤلفات التلمساني على الإطلاق ولا توجد شكوك في نسبته له، إذ ذكره مع معظم المترجمين والمفهرسين للتلمساني واقتبس منه المؤرخون أبياتا كثيرة نالت شهرة واسعة في حياة التلمساني وبعد وفاته وإن تضاربت حول جودتها الآراء.[9]

ومن الآراء المتضاربة حول شعر التلمساني قول الدكتور عمر فروخ:" أما شعره فسهل ينوء أحيانا بالصعق"، في حين يقول ابن العماد:" وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة" ويقول ابن الشاكر: " وشعره جيد إلى الغاية" وهو ما نجده أيضا عند ابن تغري بردي حيث يصف التلمساني بأنه:" من الشعراء المجيدين".

عموما فإن إصدار الحكم على جودة الشعر غالبا ما يخضع لمعايير مختلفة وذلك كما يقول الآمدي لا خلاف أذواق الناس وقدر قبولهم لشاعر دون آخر، إذا فان قيمة شعر التلمساني التي تظهر لنا إلا بعد مطالعة ديوانه وبعد تحديد موقع هذه المطالعة من أذواقها، وديوان التلمساني في معظمه يدور حول تلك الأفكار الصوفية التي ظهرت عند ابن عربي وابن السبعين وأتباعهما.[10]

---

[8] نفس المرجع السابق، ص14- 15.

[9] يوسف زيدان، ديوان عفيف الدين التلمساني، ص34.

[10] نفس المرجع السابق، ص35.